

في نور محمد فاطمة الزهراء

– «فمن هي؟». – خديجة! – «كيف لي؟». – عليّ ذلك [885]. فالوسامة، والشرف، وحلو الشمائل، وإشراقه الملامح الذهنية والبدنية... كلاهما ينابيع أصيلة في كيان الأب والأم، كليهما أرتوت منها الزهراء نفساً وجارحةً حتى استوت خُلُقاً وخُلُقاً، وناولت ذرى الجمال والكمال. فكيف تُعبأ؟ وهل عن مثلها يرغب الطلاب؟ بل الحق أن يقال: إن صفاتها هذه الدرّية النورانية كانت كالهالة التي تجعل الخاطب يتهيّبها، ويدنو منها على حذر وهو يفكّر مرّة ومرّات قبل أن يتقدّم ليطلبها؛ مخافة ألاّ تعدّه في النظائر والأكفاء. فإذا تأخّرت أعواماً عن دخول بيت الزوجية، فذلك لأنّها تجمع من أشراف الإقبال عليها ما لا يجتمع بعضه في غيرها من الفتيات المرغوبات، ولأنّ مزاياها الكريمة أحرى بأن تمدّها بثقة تحملها على التريث في انتقاء القرين، وهي آمنة أن الزمن معها وليس عليها، فلا حاجة إذاً بها للتعجّل في الاختيار. ولأنّها، قبل هذا، ضنينة بأبيها أن تدعه لتلوذ بزوج، وهي تعلم أنّه عليه الصلاة والسلام بحاجة إليها في محنة كفاحه، لتدبّر أمره وترعاه، وتملاً في بيته فراغ أمّها الراحلة، وتكون له الابنة الوفيّة، والأمّ الحانية الرؤوم. ثم ما الرأي لو أن رسول الله ﷺ استأخر بها تلك الأعوام تلبيةً لأمر ربّه إذ ادّخرها لرجل هو سيّد الناس؟ أليست الخيرة في من اختاره ﷺ؟